اجتناب المال الحرام

تذكرون الحديث الذي ذكره الشيخ ابن باز رحمه الله في أول رسالته التي هي "التحقيق والإيضاح لكثير من مناسك الحج والعمرة والزيارة، على ضوء الكتاب والسنة" هذا الحديث يقول فيه: { إذا خرج الرجل بالنفقة الحلال حاجا، ووضع رجله في الغرز، وقال: لبيك اللهم لبيك، ناداه مناد: لبيك وسعديك، زادك حلال، ونفقتك حلال، وحجك مبرور غير مأزور، وإذا خرج بالنفقة الحرام، ووضع رجله في الغرز، ونادى: لبيك اللهم لبيك، ناداه مناد، وقال: لا لبيك ولا سعديك، زادك حرام، ونفقتك حرام، وحجك مأزور غير مبرور } ؛ ولأجل ذلك كان الأولون رحمهم الله يتفقدون الزاد الذي يحجون به، يتفقد أحدهم الزاد، فلا يحج إلا بنفقة حلال من عرق جبينه، ومن كد يمينه، ليس فيها أية شبهة، وليس فيها أية طرف من أطراف الحرام أو المشتبه، كل ذلك لأجل ألا يكون الحج مأزورا. وقد ذهب بعض العلماء كالإمام أحمد رحمه الله إلى أن من حج بمال حرام؛ فإنه لا يقبل حجه، ولا يسقط عنه الفرض، ونظم ذلك بعضهم فقال: { إذا حججت بمال أصله سحت فما حججت ولكن حجت العير لا يقبل الله إلا كـل صالحـة ما كل من حج بيت الله مـبرور يعني: أنك ما حججت؛ وذلك لأن زادك غير حلال. السحت هو المال الحرام الذي ذم الله من يأكله في قوله تعالى: { سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ } ؛ يعني للحرام كالمسروق، والمختلس، والكسب الحرام من أي جهة كالذي يؤخذ بغش، أو يؤخذ بمخادعة، أو ما يؤخذ بغصب أو بظلم من صاحبه، أو ما أشبه ذلك، وكالربا، والرشوة، والنهب، والسلب بغير حق، وما أشبه ذلك من الأموال المحرمة. وقد ورد في الحديث أن أكل المال الحرام سبب لرد الدعاء، وسبب لعدم قبول العبادة، وذكر أن سعدا رضي الله عنه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون مستجاب الدعوة، فقال: { أطب مطعمك، تكن مستجاب الدعوة } ؛ يعني أنك إذا أطيبت طعامك وشرابك؛ أجاب الله تعالى دعوتك، وقبل عبادتك، وثبت الحديث المشهور قول النبي صلى الله عليه وسلم: { إن الله طيب، لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا } وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ } ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك ؟! } . الطيب هو الحلال، الكسب الحلال، الله تعالى طيب، لا يقبل من الأعمال ولا من المكاسب إلا الطيب، والنبي صلى الله عليه وسلم أخبر بهذا بأن الرجل إذا كان هكذا فإن الله لا يقبل دعوته، ولا يقبل أعماله؛ إذا كان زاده حرام؛ ولذلك وصف هذا الرجل بأربع صفات تدل على إجابة الدعوة، الأمر الأول: أنه يطيل السفر، والإنسان إذا أطال السفر كثر فضله وثوابه. الثاني: أنه أشعث أغبر، إذا كان كذلك فإن هذا أقرب إلى أن يكون من المتمسكنين ومن الضعفاء المتضعفين لله تعالى، كما جاء في الحديث: { رب أشعث أغبر، مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره } . الوصف الثالث: أنه يمد يديه إلى السماء، وهذا المد وهذا الرفع أيضا من أسباب قبول الدعاء، كما قال صلى الله عليه وسلم: { إن ربكم حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا } . والأمر الرابع: التوسل إلى الله تعالى بالربوبية: يا رب، يا رب. ومع ذلك ما قبلت دعوته، لماذا؟ لأن أكله حرام، ولباسه حرام، وغذاءه حرام، فلو كان ذلك سببا في رد دعوته؛ فلذلك نقول: إن الإنسان عليه إذا عمل عملا كالحج أو العمرة أن يتفقد طعامه، وشرابه، وزاده، وصدقاته؛ حتى تكون من كسب طيب، ليس فيها شبهة، ولا شبيه بالشبهة. فهذه كلمات حول أعمالنا التي عملناها، نرجو أن الله تعالى لا يؤاخذنا إذا كان فيها شيء من الخلل، أو النقص أولها: السفر، الذي هو مفارقة الأهل، وثانيها: النفقة والتعب، الذي أنفقناه من أموالنا، وثالثها: الإحرام الذي هو التجرد من اللباس طواعية لله، ورابعها: ترك المحظورات التي حرمت على الإنسان في حالة إحرامه تقربا إلى الله تعالى، وطلبا للأجر منه، وخامسها: -الإتيان- القصد إلى البيت العتيق والطواف به تعظيما لرب البيت سبحانه وتعالى؛ وامتثالا لأمره في قوله: { وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ } . وسادسها: السعي بين الصفا والمروة التي هما من شعائر الله تعالى، والذي يكون السعي فيها عبادة لله، ليس تعظيما للصفا ولا للمروة ولا للبقعة وإنما هو طواعية لله. وسابعها: الوقوف بعرفة في حالة خشوع واستكانة، وكثرة الدعاء والابتهال، وكثرة التضرع، وكثرة الذكر، وثامنها: الذكر في المشعر الحرام الذي أمرنا الله به في قوله تعالى: { فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ } وتاسعها: الإفاضة إلى منى الذي المبيت فيه والإقامة فيه أيضا عبادة، وأيامه التي هي أيام التشريق أيام ذكر وشكر، وأيام أكل وشرب، وأيام عبادة، وعاشرها: التقرب إلى الله تعالى بالذكر الذي أمرنا به، ومن الذكر: الذكر عند ذبح الهدايا، والذكر عند الأكل وعند الشرب، وكذلك الذكر عند رمي الجمار، والذكر عند الطواف وعند السعي، طواف الإفاضة وما أشبهها. فهذه الأفعال التي يتقرب الحجاج بها؛ يرجون بها الأجر والثواب، إذا كانوا فيها مخلصين صادقين، فالله سبحانه وتعالى أكرم من أن يردهم، وأكرم من أن يبطل عملهم، فعليهم أن يحققوا الإخلاص، وعليهم أيضا أن يظهروا الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى، ويعترفوا بأنه هو: الغني، وهم: الفقراء، كما قال الله تعالى: { وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ } فمتى كانوا كذلك رجي إن شاء الله أن يقبل الله عملهم، وأن يضاعف أجرهم، وأن لا يردهم خائبين. نسأل الله، ونتضرع إليه، نسأله ألا يحرمنا من واسع فضله، نسأله ألا يحرمنا من واسع رحمته، نسأله أن يعمنا بفضله، وأن يعمنا بعطائه، وأن يتقبل سعينا، وأن يجعل عملنا؛ أي يجعل حجنا مبرورا، وسعينا مشكورا، وذنبنا مغفورا، وعملنا صالحا مبرورا، ونقول: اللهم لا تؤاخذنا بما يقولون، واغفر لنا ما لا يعلمون، اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة، ولا تجعل لأحد فيها شيئا، { رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } { وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } . ولا تردنا بعد الدعاء خائبين، ولا تجعلنا من رحمتك محرومين، ولا عن بابك رجائك مطرودين. ولا تجعلنا من الخاسرين يا رب العالمين، ونقول: اللهم مكن لنا ديننا الذي ارتضيته لنا، وبدلنا بعد الخوف أمنا، وبعد الذل عزا، وبعد الفقر غنى، ونقول: اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك الصالحين، ونقول: اللهم آمنا في دورنا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل اللهم ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم أصلح أئمة المسلمين وقادتهم، واجعلهم هداة مهتدين، يقولون بالحق وبه يعدلون، جازهم بالإحسان إحسانا، وبالإساءة عفوا وغفرانا، ولا تحرمنا من واسع فضلك، ولا تحرمنا من عطائك وجودك يا رب العالمين، ولا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا، وتقبل منا أعمالنا وسعينا، يا واسع الفضل والعطاء، يا من يقول: { ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } قد دعوناك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا، فهذا الدعاء، ومنك الإجابة، وهذا الجهد، وعليك التكلان، صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. أسئـلة أجزل الله الأجر والمثوبة فضيلة الشيخ عبد الله على ما قدم، ونسأله الله عز وجل أن يكتبه له في ميزان حسناته، وينفعنا بما سمعنا، وهذه هي بعض أسئلة السامعين. س: يقول أحدهم: فضيلة الشيخ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. إن امرأة حجت مع والدها، وبينها وبين زوجها قطيعة منذ أكثر من خمسة عشر عاما؛ وذلك أن الزوج متزوج زوجتين، وهي الأولى؛ فهجرها، فربت أبناءها، وبارك الله لها في أبنائها فبروا بها، هل حجتها صحيحة مع هجرها لزوجها؟ صحيحة، والإثم على الزوج، إذا كان هو الذي هجرها؛ فإنه آثم إثما كبيرا، فحيث إنها حجت مع أولادها، أو مع والدها فأجرها تام إن شاء الله، ونرى: لا ولاية لزوجها ولا يجوز له أن يمنعها وقد هجرها. س: سائل يقول: بعض السنن والمستحبات في الحج قد تكون في هذا الزمان فيها مشقة عظيمة، وربما فيها أذية لبعض الحجاج، فهل يؤجر من أراد السنة، ولكن حيل بينه وبينها في هذا الزمان؟ يؤجر على قدر نيته، فنقول مثلا: الصلاة خلف المقام من السنن، ولكن قد لا يستطيع، فقد لا يصليها إلا في المصابيح، أو لا يصليها إلا في السطح فيكون بذلك معذورا، وكذلك أيضا الدعاء بعد رمي الجمرة الصغرى، وبعد رمي الجمرة الكبرى، هذا أيضا من السنن، وقد لا يستطيعه؛ وذلك إذا كان مرهقا ومتعبا، أو قد كان هناك زحام شديد في الطريق، ونحوه، فيكون معذورا، وكذلك ما عجز عنه من السنن والمستحبات في المناسك. س: وهذا سائل يقول: هل يجوز لأهالي جدة تأخير طواف الوداع إلى أيام بعد نزوله إلى جدة ثم الرجوع وعمل هذا الطواف؟ يجوز ذلك لقرب المسافة، قد كان الصحابة يردون من ترك طواف الوداع بعد مسيرة يومين؛ بمعنى أن أحدهم يسير يومين، ثم يرجع يومين؛ لأجل طواف الوداع، فيكون ذلك أيضا في هذا الزمان فيها مشقة عظيمة، وربما فيها أذية لبعض الحجاج، فهل يؤجر من أراد السنة، ولكن حيل بينه وبينها في هذا الزمان؟ يؤجر على قدر نيته، فنقول مثلا: الصلاة خلف المقام من السنن، ولكن قد لا يستطيع، فقد لا يصليها إلا في المصابيح، أو لا يصليها إلا في السطح فيكون بذلك معذورا، وكذلك أيضا الدعاء ب